OPEN ACCESS
Al-Qamar
ISSN (Online): 2664-4398
ISSN (Print): 2664-438X
www.alqamarjournal.com

المنهج النقدي عند الألوسي من خلال تفسيرروح المعاني على الرازي:دراسة تحليلية نقدية

The Critical Approach of *Al-Ālūsī* in his *Tafsīr* on *Al-Rāzī*: A Critical Analysis

Muhammad Idrees

Doctoral Candidate, Tafsīr and Qur'ānic Sciences, ,Faculty of Usuluddin International Islamic University, Islamabad

Dr. Musaab Iftikhar khan Durrani

Lecturer, Department of Tafseer and Qur'ānic Sciences ,Faculty of Usuluddin, International Islamic University

Abstract

This article studies the criticism of Imām Shahaāb al-Dīn al-Ālūsī (1270AH/ 1803AD) in his Tafsir named "*Rūh al-Maʻānī fī Tafsīr al-Quran al-ʻAzeem wa Sabʻ al-Mathānī*" on Al-Rāzī. He is famous for his criticism and observations and his Tafsir is considered as an encyclopedia of the Exegesis due to it comprehensiveness and detailed discussion. Imam *al-Ālūsī* has criticized in his tafsir on *Imām Fakhr Dīn Al-Rāzī* (606AH/ 1210AD) in so many issues. Imam Al-Razi is a prominent scholar of 6th century and the author of Tafsir "*Mafātīh al-Ghaib*" known as " *Al-Tafsīr Al-Kabīr*". The criticism of Imam Al-Ālūsī on Imām Al-Razi is related to various branches of Islamic studies such as exegetical, grammatical, juristical, Linguistical etc. Here in this article we had studied few examples.

Key word: Criticism, *Al-Ālūsī, Rūh al-Maʻānī fī Tafsīr al-Quran al-ʻAzeem wa Sabʻ al-Mathānī*, Al-Rāzī, Mafātīh al-Ghaib

مقدمه

نحمده ونصلی ونسلم علی رسوله الکریم اما بعد!فقد بذل کثیر من العلماء المسلمین جهودهم في حفظ کتاب الله وفهمه وتفسیره ونشره وتعلیقه وتعقیبه ونقده واستدراکه، فهي مکمّلات بعضها لبعض

CC BY

فماغاب عن أحد ذكره الآخر وما أخطأ فيه أحد صحّحه الآخر وما أنقص أحد أكمله الآخر مع ذلك ليس بينهم خلاف في الأخبار والأثار الصّحيحة. وبذلوا هؤلآء العلماء المفسرون حياتهم وجهودهم لهذا الكتاب الكريم لأجل منافع الدّين والأخرة. منهم المفسرون المتقدمون والمتأخرون الذين كتبوا تفسير القرآن الكريم، وحاولوا أن يأتوا بأجوبة المسائل الجديدة والمشاكل العديدة في زمانهم. ومنهم الإمام شهاب الدين الألوسي (1217هـ – 1270هـ) صاحب تفسير "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، هذا التفسير كأنه موسوعة تفسيرية لشموله علوم كثيرة، ومن اسلوب الامام الألوسي انه اهتم بالنقد والاستدراك في تفسيره على المفسرين القدامى ومنهم على الأخص الإمام فخر الدين الرازي (606هـ) مؤلف التفسير الكبير المسمى بـ مفاتيح الغيب. فتكلمنا عن هذا النقد للامام الألوسي على الرازي في هذا البحث، واخترنا بعض الامثلة، بعون الله تعالى وتوفيقه.

نبذة موجزة عن حياة الإمام فخرالدين الرازي

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي التيمي البكري، أصله من طبرستان. ولد عام 543هـ، الموافق 1150م في الري، وإليها نسبته. بدأ الدراسة من والده ضياء الدين عمر المعروف ب خطيب الري،ثم على الكمال السمعاني وعلى المجد الجيلي. أتقن الإمام الرازي علوما كثيرة وبرز فيها حتى اشتهر في حياته بلقب الإمام.توفي الإمام الرازي من أول يوم شوال سنة ست وستمأة 606هـ الموافق 1210ء في هرات (افغانستان). كان الإمام الرازي فريدا في زمانه، له باع طويل في المعقولات والمنقولات.كان صحيح النظر، بليغ القول، عميق الفكر، وجيد التعبير عن كل ما يقصد بيانه كما يتجلّى من عباراته في تفسيره وفي كتبه الأخرى.ألّفه كتبا كثيرة في شتى العلوم والفنون من اشهرها: التفسير الكبير المسمى ب مفاتيح الغيب، وأسرار التنزيل وأنوار التأويل، المحصول في الأصول الفقه، والأربعون في أصول الدين وتهذيب الدلائل وعيون المسائل كتاب شرح الإشارات وغير ذلك.1

نبذه مختصرة عن حياة الإمام شهاب الدين الآلوسي

هو أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي البغدادى،ولد يوم الجمعة في الرابع عشر من شعبان سنة 1217هـ بمدينة الكرخ (العراق)، كان أبوه رئيس المدرسين في المدرسة الأعظمية في بغداد. درس الإمام الألوسي الدراسة التمهيدية من أبيه مثلاً النحو والصرف، وكذا الفية لإبن مالك في النحو. ثم ذهب الى مجلس الشيخ علي السويدي ودرس منه تتلمذ على يد الشيخ علاؤ الدين الموصلي في كتب المنقول والمعقول وكان من أخص تلاميذه. كان الإمام الألوسي مفسرا، فقيها ،مجتهدا، وشيخ العلماء وإمام المفسرين في عصره.كان يجاهد في الرد علي الباطل ويجتهد لنشر الحق والصدق ولتطهير الدين من

الخرافات والبدع طول حياته. ألّف الإمام الألوسي تاليفات كثيرة في الأدب والتفسير واللّغة والمنطق، وترك تراثا علميا نافعا. وعلى رأس هذه المؤلفات كتابه: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، و"نشوة المدام في العود إلى دار السلام"، و"الأجوبة العراقية عن الأسئلة الاهورية"، و"نهج السلامة إلى مباحث الإمامة"، وغير ذلك. توفي الإمام الألوسي في يوم الجمعة إحدي وعشرين من ذي القعدة سنةألف ومأتين وسبعين 1270هـ، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في العراق. 2 نذكر فيما يلي بعض الامثلة لنقد الامام شهاب الدين الألوسي في تفسيره على الامام فخر الدين الرازي.

المثال الاول: هل التقليد يجوز في الاصول ام لا يجوز؟

قول الله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}.3 يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره حول منع التقليد في الأصول في قول الله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا <أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ}.4 أحدها: أن يقال للمقلد: هل تعترف بأن شرط جواز تقليد الإنسان أن يعلم كونه محقا أم لا؟ فإن اعترفت بذلك لم نعلم جواز تقليده إلا بعد أن تعرف كونه محقا، فكيف عرفت أنه محق؟ وإن عرفته بتقليد آخر لزم التسلسل، وإن عرفته بالعقل فذاك كاف، فلا حاجة إلى التقليد، وإن قلت: ليس من شرط جواز تقليده أن يعلم كونه محقا، فإذاً قد جوزت تقليده، وإن كان مبطلا فإذاً أنت على تقليدك لا تعلم أنك محق أو مبطل، وثانيها: هب أن ذلك المتقدم كان عالما بهذا الشيء إلا أنا لو قدرنا أن ذلك المتقدم ما كان عالما بذلك الشيء قط وما اختار فيه البتة مذهبا، فأنت ماذا كنت تعمل؟ فعلى تقدير أن لا يوجد ذلك المتقدم ولا مذهبه كان لا بد من العدول إلى النظر فكذا هاهنا، وثالثها: أنك إذا قلدت من قبلك، فذلك المتقدم كيف عرفته؟ أعرفته بتقليد أم لا بتقليد؟ فإن عرفته بتقليد لزم إما الدور وإما التسلسل، وإن عرفته لا بتقليد بل بدليل، فإذا أوجبت تقليد ذلك المتقدم وجب أن تطلب العلم بالدليل لا بالتقليد، لأنك لو طلبت بالتقليد لا بالدليل، مع أن ذلك المتقدم طلبه بالدليل لا بالتقليد كنت مخالفا له، فثبت أن القول بالتقليد يفضي ثبوته إلى نفيه فيكون باطلا".5 كذا قال الإمام الرازي في تفسير قول الله تعالى:{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}.6 لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآيات لكفت في إبطال القول بالتقليد وذلك لأن الله تعالى بين أن هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في إثبات ما ذهبوا إليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي، ثم بين أنهم إنما ذهبوا إليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف، وإنما ذكر الله تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين، وذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل".7

نقّد الإمام الألوسي على الامام فخر الدين الرازي في منع تقليد في الاصول وقال: "وهذا ظاهر في منع التقليد في أصول الدين والمسألة خلافية فالذي ذهب إليه الأكثرون ورجحه الإمام الرازي والآمدي أنه لا يجوز التقليد في الأصول بل يجب النظرفيه، والذي ذهب إليه عبيد الله بن الحسن العنبري وجماعة الجواز وربما قال بعضهم أنه الواجب على المكلف وإن النظر في ذلك والاجتهاد فيه حرام، وعلى كل يصح عقائد المقلد المحق وإن كان آثما بترك النظر على الأول. وعن الامام الأشعري أنه لا يصح إيمانه. وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري: هذا مكذوب عليه لما يلزمه تكفير العوام وهم غالب المؤمنين. ثم يقول الإمام الألوسي: "والتحقيق أنه إن كان التقليد أخذا لقول الغير بغير حجة مع احتمال شك ووهم بأن لا يجزم المقلد فلا يكفي إيمانه قطعا لأنه لا إيمان مع أدنى تردد فيه وإن كان لكن جزما فيكفي عند الأشعري وغيره خلافا لأبي هاشم في قوله لا يكفي بل لا بدّ لصحة الإيمان من النظر".8

التحليل والمناقشة: ننظر ونناقش هذه القضية في ضوء اقوال الائمة والعلماء والمفسرين فيقول الشيخ الشريف الجرجاني:" التقليد: عبارةٌ عن قبول قول الغير بلا حجة ولا دليل".9 قال أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي: "التقليد: لغة وضع الشيء في العنق مع الإحاطة به، ويسمى ذلك قلادة، وهو في عرف الفقهاء: قبول قول غيره من غير حجة، أخذًا من هذا المعنى، ولا يسمى الآخذ بالكتاب والسنة والإجماع مقلدًا."10

اختلف العلمآء في التقليد في الأصول هل إيمان المقلد يصح أم لا فذهب كثير من العلماء وجميع الفقهاء إلى صحة إيمان المقلد بشرط الجزم في الإيمان، لكن خالف الشيخ أبو الحسن والمعتزلة وكثير من المتكلمين، ورأيهم أنّ المعتبر في الأصول اليقين وأنه لا يحصل بالتقليد بخلاف الفروع فإن البغية فيها الظن ويمكن حصوله بالتقليد ولذلك جاز للعامي أن يقلد في الفروع دون الأصول،واحتجوا بأن الله تعالى ذم التقليد في العقيدة بمثل قوله تعالى:{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}11 وكذ الما نزل قوله تعالى إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ 12 قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد نزلت علي الليلة آية. ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها.13 يقول الامام أبو اسحاق الشيرازي: "احكام على ضربين عقلي وشرعي. فأما العقلي فلا يجوز فيه التقليد كمعرفة الصانع وصفاته ومعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الأحكام العقلية وحكي عن أبي عبيد الله بن الحسن العنبري أنه قال يجوز التقليد في أصول الدين وهذا خطأ، لقول الله تعالى:{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}14 فذم قوما اتبعوا آباءهم في الدين فدل على أن ذلك لا يجوز لأن طريق هذه الأحكام العقل والناس كلهم يشتركون في العقل فلا معنى للتقليد فيه، ثم أضاف الشيرازي: "وأما من

يسوغ له التقليد فهو العامي وهو الذي لا يعرف طرق الأحكام الشرعية فيجوز له أن يقلد عالما ويعمل بقوله. وقال بعض الناس: لا يجوز حتى يعرف علة الحكم والدليل على ما قلناه هو أنا لو ألزمناه معرفة العلة أدى إلى ما ذكرناه من الانقطاع عن المعيشة وفي ذلك خراب الدنيا فوجب أن لا يجب".15 يقول الإمام محمد ابن عرفة المالكي:"قال الامام ابن عطية: الآية دالة على إبطال التقليد، وأجمعت (الأمة) على إبطاله في العقائد. وحكى الأستاذ أبو اسحاق الإسفراييني الإجماع على جواز التقليد في العقائد. وحكى المقترح في شرح الإرشاد ثلاثة طرق منهم من ينقل الإجماع (على الجواز) ومنهم من ينقل الإجماع (على المنع)، ومنهم من يحكي الخلاف بين الشيخ القاضي (أبي بكر الباقلاني) والأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني وتوقف ابن العربي، وأجمعوا على أنّ الفرض من أصول الدين معرفة الله تعالى على الجملة، وأما معرفة دقائق ذلك العلم والتبحر فيه ومعرفة الله بالدلائل القوية الدقيقة فهو فرض كفاية".16

يقول الإمام الزركشي: "أما التقليد بمعنى الاعتقاد الجازم لا الموجب، فلم يقل أحد أنه لا يكفي في الإيمان، إلا أبو هاشم من المعتزلة وإذا منعنا التقليد في ذلك قال الأستاذ أبو إسحاق: فاتفقوا على أنه لا يجب أن يبلغ فيه رتبة الاجتهاد، بحيث يحل له الفتوى في الحكم. وقال ابن السمعاني: إيجاب معرفة الأصول على ما يقوله المتكلمون، بعيد جدا عن الصواب، ومتى أوجبنا ذلك فمتى يوجد من العوام من يعرف ذلك؟ ويصدر عقيدته عنه؟ كيف وهم لو عرضت عليهم تلك الأدلّة لم يفهموها".17 ثم اضاف الإمام الزركشي وقال: "نحن لا ننكر من الدلائل العقلية بقدر ما ينال المسلم به رد الخاطر، وإنما المنكر إيجاب التوصل إلى العقائد في الأصول بالطريق الذي اعتقدوا وساموا به الخلق وزعموا أن من لم يفعل ذلك لم يعرف الله تعالى اصلا، ثم أدى بهم ذلك إلى تكفير العوام جميعا ، وهذا هو الخطيئة الشنعاء، وإذا كان السواد الأعظم هم العوام وبهم قوام الدين وعليهم مدار رحي الإسلام، ولعل لا يوجد في البلدة الواحدة التي تجمع المائة ألف، من يقوم بالشرائط التي تعتبرونها، إلا العدد القليل الشاذ النادر".18 يقول الإمام الشوكاني:" قال الأستاذ أبو منصور: لو اعتقد أحد من غير معرفة بالدليل، فاختلف العلماء فيه: فقال أكثر الأئمة: إنه مؤمن من أهل الشفاعة، وإن فسق بترك الاستدلال، وبه قال أئمة الحديث".19 يقول إسماعيل حقي: " التقليد جائز فى الفروع والعمليات ولا يجوز في اصول الدين والإعتقاديات بل لا بد فيه من النظر والاستدلال لكن ايمان المقلد عند الحنفية وأهل الظواهر الذي يعتقد جميع ما يجب عليه من حدوث العالم ووجود الصانع وصفاته وإرسال الرسل وكذا يعتقد ما جاء به الرسل حقّا من غيردليل لأن النبّي -عليه السلام- قبل إيمان الأعراب والصبيان والنسوان والعبيد والإماء من غير الدليل، ولكن المقلد في الأصول يأثم بترك النظرفيه".20 يقول محمد الأمين الهرري

الشافعي حول مسئلة التقليد:" هذه الآية دليل على المنع من التقليد في أمر الدين لمن قدر على النظر والاجتهاد، وأما إذا اتبع المرء غيره في الدين ممن علم أنه على الحق كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام، فهذا ليس بتقليد، بل اتباعٌ لما أنزل الله تعالى،21 كما قال تعالى:{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.22

خلاصة الكلام قول عامة الأصوليون أن التقليد فى الأصول لا يجوز بدليل أنّ الجزم في العقيده لازم وفي التقليد يأخذ المقلد قول الغير بلا دليل وحجة ،فهذا القول شاق على عامة المسلين. لأن كثير من الناس عاجز عن العلم بهذه الدقائق. نعم يجب على المسلم أن ينظر على قدر طاقته وقوته في إثبات عقيدته وأمور دينه. فعلم من هذا البحث أن قول الإمام الألوسي راجح.

المثال الثاني: هل الله سبحانه وتعالى خاطب زكريا عليه السلام بالذات او بواسطة الملك عليه السلام، قول الله تعالى:{يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا}.23 فسّر الإمام الرازي رحمه الله هذه الآية بمانصّه: "اختلف العلماء في المنادي بقول الله تعالى:{يَازَكَرِيَّا}، فمعظمهم يقولون أنه هو الله تعالى، واستدلوا بأن ما قبل هذه الآية يدلّ على أن زكريّا عليه السلام خاطب الله تعالى وسأله كما في قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا}24 وقول الله تعالى:{فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا}25 هذا وما بعدها يدلّ على أن زكريا عليه السلام خاطب الله تعالى، كما قال:{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ}26 ثم يقول الإمام الرازي: "لما اتّضح لنا أن ما قبل هذه الآية وما بعدها خطابا مع الله تعالى، وجب أن يكون النداء من الله تعالى وإلا لتفسد النظم".27

نقّد الإمام الألوسي على الإمام الرازي في تفسيره فقال: "ليس كذلك بأن الله تعالى خاطبه بالذات بل بواسطة الملك." 28

التحليل والمناقشة: يقول الإمام الرازي في تفسير الآية المذكورة أن المنادِي هوالله تعالى، بينما وضّح الإمام الألوسي أن المنادي هو الملك، ولكن قول الإمام الرازي فهو ضعيف من عدة وجوه: اوّلا: ذكرالإمام الرازي الإحتمال في النداءكما قال: أنه يحتمل أن يقال حصل النداءان نداء الله، ونداء الملائكة، يعنى راب الإمام الرازي في عدد نداء وما أيقن أن هناك نداءان أم نداءا واحدا. ثانيا: اعترف الإمام بنفسه أن الجمهور يقولون أن القائل بذلك ملك. 29 ثالثا: أن الإمام الرازي ذكر في استدلاله السباق والّحاق الآية ومراعاة النظم.

من جهة الأخرى يقول الإمام الألوسي أن المنادِي هو الملك كما ذكرنا، واستدلّ بوجوه: أوّلا: أنّ الله تعالى يقول في سورة آل عمران:{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى}30 يعنى عزا الله تعالى نداء إلى الملآئكة لا لنفسه. ثانيا: إنّ القرآن يفسّر بعضه بعضًا فما أجمل في سورة مريم ففسّر في

سورة آل عمران في قول الله تعالى:{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ}31 ثالثا:معظم المفسرون يقولون أن المنادِي هو الملآئكة (أي ارادوا جبريل عليه السلام)، ذكر الامام الطبري في تفسيره برواية السّدى حيث قال: "نادى جبريل عليه السلام:{يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} فلما سمع النداء، جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت الأن فهو ليس من الله، إنما هو من الشيطان يمزح بك، ولو كان من جانب الله لأوحاه إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر".32وقال الإمام ابن ابي حاتم في تفسيره برواية مجاهد أنه قال: "لما دعا زكريّا ربّه أن يهب له غلاما هبط جبريل عليه السلام فبشّره بيحيى عليه السلام".33وقال أبو الليث السمرقندي في تفسيره تحت هذه الآية حيث قال: "أوحى الله تعالى (إلى زكرياعليه السلام) بواسطة جبريل عليه السلام ليؤدّي إليه الرسالة من الله عزّ وجلّ كما قال تعالى:{إِنَّا نُبَشِّرُكَ}، وقد بيّن الله تعالى ذلك بقوله:{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ}، ثم قال: هنا: بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا، يعني: لم نجعل لزكريا من قبل يحيى ولدا يسمى يحيى.34 هكذا قال أبو حيّان الأندلسي: "إنّ المنادي والمبشّر لزكريا عليهم السلام هم الملائكة".35

الملخص ما ذكرنا إنّ قول الإمام الألوسي قويّ في هذه القضية من وجهين: اوّلا: لقوله تعالى:{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ}، ثانيا: موقف كبار المفسرين تؤيّد رأي الإمام الألوسي كما ذكرنا. إذا فالترجيح في هذه القضية لقول الإمام الألوسي. والله اعلم

المثال الثالث: مكان العقل القلب أم الدماغ؟ قول الله تعالى:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا}36 يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: هل تدل الآية على أن العقل هو العلم وعلى أن محل العلم هو القلب؟ الجواب: نعم لأن المقصود من قوله: قلوب يعقلون بها العلم. وقول الله تعالى كالدلالة على أن القلب آلة لهذا التعقل، فوجب جعل القلب محلا للتّعقل".37

نقّد الإمام الألوسي على الامام الرازي حيث قال: "ولا يخفى أن الاستدلال بما ذكر على محلية القلب للعلم لا يخلو عن شيء، نعم لا ينكر دلالة الآيات على أن للقلب الإنساني لما أودع فيه مدخلا تاما في الإدراك، والوجدان يشهد بمدخلية ما أودع في الدماغ في ذلك أيضا، ومن هنا لا أرى للقول وجها بأن لأحدهما مدخلا دون الآخر. وكون الإنسان قد يضرب على رأسه فيذهب عقله لا يدل على أن لما أودع في الدماغ لا غير مدخلا في العلم (أي القلب)كما لا يخفى على من له قلب سليم وذهن مستقيم ".38

التحليل والمناقشة: الاختلاف عمل طبيعي في البشر، وكل إنسان ينظر إلى المسألة من زاوية نظره ويحكم عليه حسب نظره واجتهاده كما في نفس المسئلة، يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية ان العقل هو العلم ومكانته القلب، واحتج بقول الله تعالى:{إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ

شَهِيدٌ}39 وقول الله تعالى:{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}40 امّا الإمام الألوسي فقد ذكر الاختلاف بين العقلاء والفلاسفة في كون القلب محلا للعقل كما قال: "المشهور عن الفلاسفة أن محل العلم المتعلق بالكليات والجزئيات المجردة النفس الناطقة ومحل العلم المتعلق بالجزئيات المادية قوى جسمانية قائمة بأجزاء خاصة من البدن وهي منقسمة إلى خمس ظاهرة وخمس باطنة وتسمى الأولى الحواس الظاهرة والثانية الحواس الباطنة،"ثم يقول الإمام الألوسي: "إن بعض متفلسفة المتأخرون يزعمون أن مدرك للكليات والجزئيات إنما هو النفس، امّا القوى فهو غير مدركة للكليات والجزئيات بل آلة في إدراك النفس واختار هذا القول بعض اصحابنا." بعد نقل قول الفلاسفة قال الإمام الألوسي: " امّا أصحابنا فموقفهم أن كل جزء من أجزاء بدن الإنسان إذا قام به إدراك وعلم فهو مدرك عالم، وكون ذلك مما يقوم بالقلب أو غيره لأن العقل لايجب ذلك ولايمتنع، من جانب آخر الشرع يشير إلى قيامه بالقلب لقوله تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ... وقوله عز وجل: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَاً لكن الإمام الألوسي ما اتفق بقيام العقل بالقلب فحسب وقال:" لا ينكر دلالة الآيات أن مدخل العقل هو القلب لا غير لأن الوجدان يشهد به، بناء على ذلك لاأرى لتلك القول وجودا أن مدخل العقل هو القلب لا الدماغ، ربما يضرب الإنسان على رأسه فيُذهب بعقله." 41 اما أفكار العلماء فهو متفاوتة في هذه القضية كما ذكرنا في البداية نذكر فيما يلي بعض أرائهم. يقول ابو منصور الماتريدي في تفسير هذه الآية: "عقل وفهم. أو لمن كان له قلب ينتفع به في التأمل والنظر.وإنما كنى بالقلب عن العقل؛ لأن الناس اختلفوا فيه، بعضهم قالوا: إن القلب محل العقل،"وقال بعضهم: "محل العقل الرأس، لكن نوره يصل إلى القلب؛ فيبصر القلب الأشياء الغائبة بواسطة العقل فلذلك كنى بالقلب عن العقل لمجاورة بينهما".42

يقول ابن عطية الأندلسي: "هذه الآية تقتضي أن العقل في القلب وذلك هو الحق ولا ينكر أن للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ".43 يقول أبوحيان أندلسي:"وإسناد العقل إلى القلب يدل على أنه محله، ولا ينكر أن للدماغ بالقلب اتصالا يقتضي فساد العقل إذا فسد الدماغ".44 يقول محمد الأمين الشنقيطي: "والآية تدل على أن محل العقل في القلب، ومحل السمع في الأذن، امّا ما يزعمه الفلاسفة من أن محل العقل هو الدماغ فباطل، كما أوضحنا في غير هذا الموضع، وكذلك قول من زعم أن العقل لا مركز له أصلا في الإنسان لأنه زماني فقط لا مكاني فهو في غاية السقوط والبطلان".45 اما عبد الكريم يونس الخطيب فقد فسّر هذا البحث بمنهج أنيق كما قال: "امّا العقل وإن عرفت آثاره فانه لا يعرف سره ولو عرف سرّه فان العقل لا يخرج أن يكون ربيب القلب فإذا أنسب القرآن إلى القلب علما

ومعرفة وحكمة وإيمانا فإنما ذلك لأن القلب سلطان الجسد كله وصلاح الإنسان وفسادها يتعلق به، فإن العقل حاسة خفية من حواس الإنسان لذا سلامت العقل مرطبة بسلامة الجسد وسلامة الجسد منحصر بسلامة القلب كما روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم "ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهى القلب".46 نعم بعض العلماء يقولون أن محل العقل الدماغ كما نسب هذا القول إلى إمام أبى حنيفه وإمام احمد بن حنبل، وكذا قال علماء مجمع البحوث الإسلاميه فى تفسير الوسيط للقرآن الكريم: " إنّ الأَجهزة العقلية كلها في الدماغ، ولا تعارض بين ذلك وبين ما جاء في القرآن، فإن العقول لا غذاءَ لها إلا من القلوب، ولا تعمل إلا بمدد منها؛ فإذا انقطع عنها هذا المدد شلَّتْ وفسدت، وتعرض صاحبها للموت، بل إن القلوب هي مصدر الحياة للأَجساد، فلا غرابة في أن يُسْندَ إِليها ما يسند إِلى رعيتها من مختلف الأَجهزة الجسمية، أَلا ترى يُقال: فتح الملك المدينة، مع أَنه لم يفتحها سوى جنوده وقواده، وإِنما صَحَّ إسنادُ الفتح إِليه لأَنه السبب الأَول فيه ، كذلك أَن قلوبنا تحس تماما بضياءِ الحق فتستريح إِليه وتنشرح صدورنا به، ولا شك أَن هذا الانشراح والراحة القلبية يدلان على أَن في القلوب هدى وبصيرة، وأَن الأَمر ليس قاصرًا على مراكز العقول في الدماغ.47

يتشرح من البحث أن الإمام الألوسي يعترف أن محل العقل هو القلب كما يقتضيه ظاهرمن االنصوص، لكن هو يقول أنه لا يلزم منه أن محل العقل هو القلب فقط ولا علاقة لها مع الدماغ ، كما يفهم من كلام الإمام الرازي وغيرهم من المفسرين المتقدمين.لذا في هذه القضية قول الإمام الألوسي صائب.

المثال الرابع: ما المراد من الحكم في الآية الأتية ؟ قال الله تعالى: {رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}.48 ذكر الإمام الرازي في تفسير الآية عدة مطالب:" أحدها: أنه لا يجوز تفسير الحكم بالنبوة لأن النبوة كانت حاصلة (لإبراهيم عليه السلام) فلو طلب النبوة لكانت النبوة المطلوبة، إما عين النّبوة الحاصلة أو غيرها، والأول محال لأن تحصيل الحاصل محال. والثاني: محال أيضا لأنه يمتنع أن يكون الشخص الواحد نبيّا مرتين، بل المراد من الحكم ما هو كمال القوة النظرية، وذلك بإدراك الحق. ثم يقول وفي هذه الآية (إشارة إلى)كمال القوة العملية، وذلك بأن يكون عاملا بالخير فإن كمال الإنسان أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، وإنما قدم قوله:{حُكْمًا}على قوله:{بِالصَّالِحِينَ} لما أن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية بالشرف وبالذات".49

نقّد الإمام الألوسي على الامام الرازي في تفسير هذه الآية وقال: "والأولى عندي أن يفسر الحكم بالحكمة بمعنى الكمال في العلم والعمل والإلحاق بالصالحين بجعل منزلته كمنزلة الصالحين عند الله عز وجل، والمراد بطلب ذلك أن يكون علمه وعمله مقبولين إذ ما لم يقبلا لا يلحق صاحبهما بالصالحين ولا

تجعل منزلته كمنزلتهم. وكأنه لذلك عدل عن قول: رب هب لي حكما وصلاحا أو رب هب لي حكما واجعلني من الصالحين إلى ما في النظم الكريم".50

التحليل والمناقشة: استخدم كلمة الحكم في القرآن على معان مختلفة حسب مقتضى الحال كما ذكره الإمام مقاتل بن سليمان الأزدي : كلمة الحكمة قد ورد في القرآن على أربعة أوجه، أولا: مواعظ القرآن الكريم،كما قال الله تعالى:{وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ}،51 يعني مواعظ القرآن، وفي وقول الله تعالى:{فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا}52 يعني المواعظ ومثلها، وثانيها:الحكمة بمعنى الفهم والعلم ، ومنه قول الله تعالى:{يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}53 وفي قول الله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ}54 يعني الفهم والعلم وفي قول الله تعالى:{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ}55، وثالثها: الحكمة بمعنى النبوة كما في قول الله تعالى:{فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}56، يعني النبوة، ورابعها: بمعنى القرآن بما فيه من عجائب الأسرار وفي النحل كما قال الله تعالى:{ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}57 وفي هذه الآية جميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع إلى العلم".58 ثم قال الإمام الرازي: أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين (اي إماالعلم أو إما فعل الصواب)، وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فالمرجع بالأول: إلى العلم والإدراك ، وبالثاني: إلى فعل العدل والصواب، فحكي عن إبراهيم عليه السلام :{فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}، وهو الحكمة النظرية، والحكمة العملية، ونادى موسى عليه السلام فقال الله تعالى{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا}،وهو الحكمة النظرية، ثم قال:{فَاعْبُدْنِي}.59 وهو الحكمة العملية"60 اراد الإمام الرازي من الحكم "القوة النظرية" وعبرعنه بالتوحيد (أي بمعرفة الحق)، فهذا ناقص بالنسبة إلى ابراهيم عليه السلام بأنه طلب من الله تعالى في الدعاء ، لأن التوحيد شرط لصحة الإيمان وهو حاصل لكل المؤمنين فكيف لا يكون حاصلا لإبراهيم عليه السلام مع أنه داعى التوحيد والوحدانية وقاطع الشرك والأصنام. أمّا الإمام الألوسي فقد اراد منه الكمال في العلم والعمل والإلحاق بالصالحين كما ذكرنا، فقوله أقرب لمعنى الحكم الذي رجّحه العلمآء المحققون. يقول الإمام البيضاوي في تفسير هذه الآية: "أي كمالا في العلم والعمل أستعد به لخلافة الحق ورئاسة الخلق. وألحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في الصلاح".61

يقول منصور بن محمد السمعاني: "أن المراد منه الْعلم والفهم".62 يقول الإمام السيوطي في المراد منه: أي علما والحقني أي بالنبيين".63 يقول الإمام الشوكاني: والمراد بالحكم: العلم والفهم".64 قال الشيخ

صديق خان القِنَّوجي: "المراد بالحكم الكمال في العلم والفهم والعمل يستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق".65 خلاصة الكلام قول الإمام الألوسي أقرب إلى الصواب في هذه القضية. والله اعلم

نتائج البحث

الإمام فخر الدين الرازي من أبرز العلمآء في القرن السادس وتفسيره "مفاتيح الغيب" موسوعة تفسيرية وعلمية، وهكذا الإمام شهاب الدين الألوسي شيخ العلماء في عصره وتفسيره روح المعاني من أجلّ التفاسير وموسوعة في تراث التفسير ويمتاز لاسلوبه النقدي. نقّد الإمام شهاب الدين الألوسي على الإمام فخر الدين الرازي في قضايا متنوعة من العلوم النقلية والعقلية، على سبيل المثال في قضايا تفسيريا أو عقديا، أو فقهيا، أو لغويا أو علميا أو غير ذلك. وجدتُ من خلال هذه الدراسة أن الإمام الألوسي لا يكتفي بمجرد النقل والإقتباس للآراء، بل يدقق فيها بهدف الوصول إلى المعنى الصحيح. تميز الامام الألوسي في نقده على الإمام الرازي، أنه شديد العبارة، وناقد مُخنّك، وفي بعض الأحيان يشير إلى الاستدراك إشارة خفية، وفي بعضها يشير إلى أنه قد بيّنه في مواضع أخرى لا يحيل إليها.

References

1 For detail: Ibn Khallekan, Wafayat ul Al-Aayan wa Anbaa u Abnaa al-Zaman (Berut, Dar Sader, 1900 AH), 2: 248-252; Ibnul Imad Hanbali, Shazarat ul-Zahab (Berut, Dar Ibne Kathir, 1406 AH), 7: 40; Imam Taqi Uddin al-Subki, Tabaqat ul-Shafeya al-Kubraa (Berut, Dar al-Hijr), 8: 86; Imam ibn ul al-Jazari, Al-Kamel fi el Tareekh (Berut, Darul Ketab, 1417 AH), 10: 275; Imam Shamsuddin Al-Daoodi, Tabaqat ul Mufassireen (Berut, Darul Kutub al-Elmiyyah, 2: 217-218.

2 For detail: Jurji Zaidan, Tarajem Mashaheer al-Sharq fi al-Qarn al-Tasei al-Ashr (Egypt, Kalimat al-Arabiyyah), 2: 225; Muhammad Bahjah al-Asari, Aaalam ul- Iraq (Al-Matbaa al-Salafiyya, 1345 AH), 21: 28; Muhammad Siddique Hassan Khan al-Qinnuji, Al-Taj al-Mukallal (Qatar, Wazaratl al-Awqaf washuoon al-Islamiyyah, 1428 AH), 507-509; Noman Khair Uddin al-Alusi, Jalau al-Ainain fi Muhakamate al-Ahmadain (Matbatul Madani, 1401 AH), 1: 58; Syed Mahmood Shakri al-Alusi, Al-Misk ul-Azfar fi Nashri Mazaya al-Qarnain al-Thani wal-Ashr (Berut, Darul al-Arabiyyah lil-Musuaat, 1427 AH), 8; Khair Uddin al-Zarkali, Al-Aalam (Darul Ilm al-Malayeen, 2002 AD), 4: 36.

3 Luqman 31: 21.

4 Al-Baqarah 2: 170.

5 Imam Fakhr Uddin Razi, Tafseer ul Kabeer (Berut, Dar Ihyau Al-Turas Al-Arabi), 15: 479.

6 Az-Zukhruf 43: 22.
7 Imam Fakhr Uddin Razi, Tafseer ul Kabeer, 27: 628.
8 .Imam Shahab Uddin Al-Alusi, Ruhul Maani fi Tafseer al Quran al-Azeem wa al-sabi al-Mathani (Berut, Darul Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH), 16: 222.
9 Al-Shareef al-Jurjani, Ketab al-Tareefat (Berut, Darul Kutub al-Ilmiyyah, 1403 AH/ 1983), 64.
10 Muhammad bin Abi al-Fath al-Baali, Al-Matlaa ala al-Alfaz al-Qanaa (Maktab al-Suwadi, 1423 AH/ 2003 AD), 87.

11 Az-Zukhruf 43: 22.
12 Aal e Imran 3: 190.
13 Imam Muhammad bin Habban al-Tameemi, al-Ihsan fi Taqreeb Saheeh ibn e Habban (Berut, Muasasatur Rislah, 1408 AH), 22: 347.
14 Az-Zukhruf 43: 22.
15 Imam Abu Ishaq Al-Sheerazi, Ibrahim bin Ali, Al-Lama fi Usul al-Fiqh (Berut, Darul Kutub al-Ilmiyya, 1424 AH), 125.
16 Tafseer Ibn e Araffah, Ibn e Araffah al-Tunasi, Muhammad bin Muhammad (Tunisia, Markazul al-Buhus bil-Kuliyya al-Zaituna, 1986 AD). 2: 501.
17 Badr Uddin al-Zarkashi, al-Bahrul Muheet fi Usul al-Fiqh (Berut, Darul al-Kutub, 1414 AH/ 1994 AD), 8: 326.
18 Badr Uddin al-Zarkashi, al-Bahrul Muheet, 8: 327.
19 Muhammad bin Ali al-Shokani, Irshad ul-Fuhul Ila Tahqeeq al-Haq min Ilm al-Usool (Darul al-Ketab al-Arabi, 1419 AH), 2: 241.
20 Ismaeel Haqqi al-Isatanbuli, Ruhul al-Bayan (Berut, Darul al-Fikr), 7: 91.
21 Muhammad Amin bin Abdullah al-Haravi, Tafseer Hadaiq ur Rooh wal Raihan fi Rawabi Uloom ul Quran (Berut, Dar Tauq un-Najat, 1421 AH), 3: 99.
22 An-Nahl 43: 16.
23 Maryam 19: 4.
24 Maryam 19: 7.
25 Maryam 19: 8.
26 Maryam 19: 5.
27 Imam Fakhr Uddin Razi, Tafseer ul Kabeer, 21: 515.
28 Imam Al-Alusi, Tafseer Ruhul Maani, 8: 348.
29 Imam Fakhr Uddin Razi, Tafseer ul Kabeer, 21: 521.
30 Aal e Imran 3: 39.

31 Maryam 19: 7.
32 Imam Abu Jafar Al-Tabari, Jame ul Bayan fi Taaweel Quran (Berut, Muassat ur Risalah), 14: 36-38.
33 Ibne Abi Hatam, Tafseer ul Quran Al-Azeem (Saudi Arabia, Maktabat Un-Nazaar), 5: 1703.
34 Abul-Lais Samarqandi, Tafseer Bahrul Uloom (Berut, Darul Kutub Al-Ilmiyya), 2: 29.
35 Abu Hayyan al-Andulusi, Muhammad bin Yusaf, al-Bahrul Muheet fi Tafseer (Berut, Darul Fikr, 1420 AH), 7: 242.
36 Al-Hajj 22: 46.
37 Imam Fakhr Uddin Razi, Tafseer ul Kabeer, 23: 234.
38 .Imam Al-Alusi, Tafseer Ruhul Maani, 9: 161.
39 Qaaf 50: 37.
40 Muhammad 47: 24.
41 Imam Al-Alusi, Tafseer Ruhul Maani, 9: 161.
42 Abu Mansoor al-Maturidi, Tafseer al-Maturidi (Berut, Darul Kutub al-Ilmiyyah, 1426 AH), 9: 366.
43 Ibne Attiyyah, Tafseer al-Muharar al-Wajeez, 4: 127.
44 Abu Hayyan al-Andulusi, al-Bahrul Muheet fi Tafseer, 7: 521.
45 Al-Shanqeeti, Muahammad al-Amin bin Muahmmad al-Mukhtar, Adwa ul Bayan fi Idah al-Quran bil Quran (Berut, Darul Fikr, 1415 AH), 5: 275.
46 Al-Khateeb, Abdul Kareem Yunus, Al-Tafseer al-Qurani lil Quran (Cairo, Darul Fikr al-Arabi), 9: 1054.
47 Committee of Scholars, Al-Tafseer al-Waseet lil-Quran al-Kareem (Al-Haiah al-Aamah lishoon al-Matabei al-Ameeriyyah, 1393 AH), 6: 1232.
48 As-Shuaraa 26, 83.
49 Imam Fakhr Uddin Razi, Tafseer ul Kabeer, 24: 515.
50 Imam Al-Alusi, Tafseer Ruhul Maani, 10: 97.
51 Al-Baqarah 2: 231.
52 An-Nisaa 4: 113.
53 Maryam 19: 12.
54 Luqman 31: 12.
55 Al-Anaam 6: 89.

56 An-Nissaa 4: 54.
57 An-Nahl 27: 125.
58 Imam Fakhr Uddin Razi, Tafseer ul Kabeer, 7: 58.
59 Taha 20: 14.
60 Imam Fakhr Uddin Razi, Tafseer ul Kabeer, 7: 58.
61Nasir Uddin al-Badavi, Abullah bin Umar (Anwaar ul-Tanzeel wa Asrar al-Taveel), Berut, Dar Ihya ul Turas al-Arabi, 1418 AH), 4: 142.
62 Abul Muzaffar Mansoor bin Muahmmad al-Maruzi al-Samaani, Tafseer ul Quran (Riyadh, Darul Watan, 1418 AH), 4: 54.
63 Jalal Uddin al-Mahallli, Jalal Uddin al-Suyuti (Cairo, Darul Hadith), 485.
64 Muhammad bin Ali al-Shokani, Tafseer Fathul Qadeer (Damascus, Dar Ibne Kathir 1414 AH), 4: 123.
65 Muhammad Siddique Hassan Khan al-Qinnuji, Fathul al-Bayan fi Maqased al-Quran (Berut, Al-Maktabah al-Asriyyah), 9: 391.